الديمقراطية السليمة في مصر

يقول فقهاء القانون الدستوري: إن الدولة وهي التجسيد المادي لكلمة الوطن، والوطن هو الشعب والأرض (الركنان الماديان) والسيادة (الركن المعنوي) ، سيادة الشعب علي أرضه وتتجسد هذه السيادة في السلطة التي تأخذ شكل الدولة ويتفق هؤلاء الفقهاء في أن السيادة لا تتجزأ ولا يمكن التنازل عنها ، من فقهائنا الدكاترة وايت إبراهيم ووحيد رأفت وعصمت سيف الدولة . ولمن أراد التأكد عليه أن يرفع ناظريه إلى مدخل مبني مجلس الشعب المصري ليري تلك الجملة الجامعة المانعة القاطعة « الديمقراطية هي توكيد سيادة الشعب » ... حسنا ، كيف تتحقق سيادة الشعب المصري علي ترابه ؟ يقول الدستور المصري في ديباجته وهو يقرر حقيقة لامراء فيها : إن الشعب المصري هو جزء من الأمة العربية ، طيب مامعنى هذا ؟ معناه أن الشعب المصري بموجب دستوره عليه أن يسعى بكل قوته وبكل وسيلة مشروعة لإنجاز وحدته مع باقي أجزاء أمته حتى تكتمل سيادته ، إذ كما سبق وقلنا: إن السيادة لاتتجزأ وما دامت الوحدة لم تتحقق فالسيادة لم تتحقق وبالتالي فالديمقراطية لم تتحقق في مصر أو أي جزء عربي حتى وإن ادعى البعض غير ذلك ... ولو افترضنا جدلا أن الدول العربية تنازلت عن بناها الإقليمية لتحقق أمنية عزيزة وغالية ومشروعة ألا وهي دولة الوحدة العربية – طبعا لايمكن أن تتحقق هذه الأمنية الغالية إلا بعد زوال إسرائيل الحتمي قريبا إن شاء الله رغما عن أنف الحكام العرب – هل بذلك نكون قد حققنا سيادة الشعب علي أرضه ؟ نقول ... لا مادام هناك شبر واحد من الأرض العربية تحت الاحتلال فلاسيادة ... لابد من تحرير سبته ومليلة وإقليم عربستان ولواء الإسكندرونة ، وبعد ذلك تتحقق السيادة وتأتي الديمقراطية الحقيقية كنتيجة طبيعية وجائزة محققة للشعب العربي الذي استطاع بقوته الذاتية استعادة كامل ترابه السليب ... ولكن كيف يمكن للشعب العربي أن يحقق ذلك ؟ نقول : إن فاتحة الكتاب هو تحرير الشعب

العربي من كل صور القهر المادي التي تكبل حريته وتحبس قوته ... إن القضاء على الاستبداد السياسي في كل قطر عربي هو شرط أولي لانطلاقة الشعب العربي في هذا الإقليم نحو تحقيق الوحدة العربية الكاملة التي هي شرط أساسي لتحقق الديمقراطية والشاهد أن هذا لايمكن أن يحدث عبر صندوق الاقتراع في الممالك الوراثية كما الجمهوريات الوراثية التي تستميت فيها عصابات الحكم علي اغتصاب السلطة ولامحل لاستعادة سلطة الشعب أو بمعني أصح سيادة الشعب علي إقليمه إلا بالعصيان المدني والثورة الشعبية ، ليس هذا وقت الحديث عن ثورة العسكر فتجربة يوليو وفق منطق العصر غير قابلة للتكرار وإن كان وقوف الجيش بجانب الشعب أمر ضروري وغير خاف أن الولايات المتحدة لن تسمح هي الأخري بتكرار تجربة يوليو ، نتذكر جميعا ثورة الضباط الأحرار في موريتانيا عي حكم ولد طايع إذ تدخلت وحدة كوماندوز إسرائيلية محمولة جوا وأجهضت الانقلاب وللتاريخ نتذكر إجهاض الولايات المتحدة للتطور الديمقراطي في اليونان عام ١٩٧٤ وتهديدها بالتدخل عسكريا في إيطاليا إذا فاز الحزب الشيوعي في الانتخابات البرلمانية التي جرت في ١٩٨٦ إذ كانت استطلاعات الرأي تؤكد التفوق الساحق للحزب الشيوعي الإيطالي تحت قيادة القائد الشيوعي الفذ « أنريكوبرلينجوير » ، وهل يمكن أن ننسي تدبير الانقلاب العسكري علي الرئيس المنتخب د.سلفادور الليندي في شيلي ١٩٧٠ ولاحل سوي الالتحام بين الجيش والشعب حيث يقوم الجيش بمنع نزول «شومة » النظام الغليظة علي رأس الشعب ويقوم الشعب بدور الدرع لحماية جيشه الوطني ... ولكن كيف يتأتي ذلك ؟ بالعمل الدؤوب بين صفوف الشعب حتي يقبل بدفع الثمن راضيا مرضيا لاستخلاص حريته المسلوبة ، هنا تفعل نظرية الأواني المستطرقة فعلها عندها سوف تقف كل طوائف الشعب علي قلب رجل واحد ... وماذا بعد ؟ يقوم الشعب

المنتصر باسترداد حقوقه الاقتصادية المغتصبة – الثروة الوطنية المنهوبة – حيث يتم التوزيع العادل علي قاعدة لكل حسب عمله ويتم توجيه الثروة الوطنية لما فيه مصلحة الوطن العليا ... بأي وسيلة ؟ بالعلم والعمل والتخطيط وليس من المتصور أن يقاتل الشعب من أجل حريته ثم يقوم بتسليم السلطة لحفنة من رجال الأعمال تاجرت بقوته و « جوعته » ثم أنهكت من تبقي بالمبيدات المسرطنة ، هنا سوف تنهض قوى البغي والعدوان ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل – أعداء الشعب العربي علي طول الخط – يظاهرهم حلف الشيطان الغربي ، ولايجد الشعب أمامه سوى طريق واحد للخروج مما هو فيه... ألاوهو السعي نحو مايريد فوق بحر من الدم وتحت أفق مشتعل بالنار ... هل هذا هو القدر ؟ هل هذه هي الدعوة إلي الحرب ؟ نعم هذا هو قدرنا الذي فرضه علينا العدو ، وليست هذه هي دعوة الحرب ولكنها دعوة الحق المر الذي ليس منه بد... وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خيرلكم .

إذا تتحرر الأرض العربية قطعة قطعة وعلي كل جزء محرر يقيم الشعب سلطته موظفا كل إمكانيات الجزء المحرر لاستكمال معركة التحرير وفي كل جزء محرر يوظف الشعب إمكانياته المتاحة لخدمة أبناء الشعب العامل ... مدارس ومستشفيات وفرصا للعمل ويجعل الشعب من هذا الجزء المحرر قاعدة أو قوة مضافة لمعركة استكمال تحرير ووحدة الأرض العربية ...إنه المستقبل المأمول الجميل رغم أنف الظالمين . إذا فالنضال من أجل تحرير الأرض العربية كلها والذي يأخذ صورا عدة قتالا مسلحا وبناء نهضة صناعية وامتلاك ناصية العلم هو في جوهره نضالا من أجل بناء الديمقراطية السليمة ... كان عبد الناصر يربط ربطا عضويا ما بين تذكرة الانتخاب ورغيف الخبز ... إيه أيها المسكين المهزول الذي تفري كبدك البلهارسيا ويغطي بدنك جلباب ممزق ويقرصك جوعك المزمن زائغ العينين خلف ستارة وجها لوجه مع الصندوق ، هل هناك خرق ما تراقبك منه عين الشيطان ... هل تتحسس يدك الخشنة المعروقة «الحتة

أم خمسة» التي دسها في يدك أحد رجال الباشا وزين لك المستقبل حيث ستذهب البت لسرايا الباشا للخدمة ، هكذا وعدت الست الهانم زوجة الباشا وستضمن البقاء «تملي» في حتة الأرض التي تقوم بفلاحتها ... أي باشا ذلك الذي تتحدث عنه ؟ بالرغم من قيام ثورة يولية بإلغاء الألقاب إلا أنها عادت بقوة ومن ثم فالمشهد السابق من بر مصر المحروسة ولايمكنك أن تحدد هل هو من عصور ما قبل ثورة ٢٣ يوليو أم بدايات القرن الواحد والعشرين ... لايهم إنه العبث أو الضحك الذي يشبه البكاء ،وكما يقول سانتانا : «إن التاريخ لايعيد نفسه ، وإذا حدث فإنه يكون في المرة الثانية ملهاة أو مأساة» ... أو كليهما في آن ، رحم الله القائد الراحل ، لم يكن يدري أن شعبه المعلم سوف يصيبه مرض نفسي عضال .... سوف يصبح مازوخيا !!

تلك هي الوصفة السحرية لعلاج كل أمراض الأمة المزمنة – التخلف ، التبعية ، التجزئة والإقليمية ، التفرقة الطبقية والتسلط – إن الواقع كما يطرح المشكلة يطرح إمكانيات حلها ، وأي مشكلة ليس لها إلا وجه واحد حتي وإن اجتهد البعض في تضليل الشعب عن حقيقتها (المضللون) وكل مشكلة ليس لها سوي حل واحد حتي وإن اجتهد البعض في حرمان الشعب من حقه الطبيعي في حل مشكلته أي استخلاص حريته ، فالمشكلة أي مشكلة هي في حقيقتها قيد علي حرية الإنسان إنهم (المستبدون) ،وكل حل لابد من تنفيذه في الواقع بالعمل ، وهذا العمل إضافة ومن مجمل هذه الإضافات يحدث التطور وسوف يقاتل الشعب ضد كل من يقفون حجر عثرة في سبيل التطور (الظالمون) وسوف يقاتل الشعب بكل ما أوتي من قوة ضد هذا الحلف ... حلف الشيطان داخل حدود الوطن العربي الكبير وخارجه، حتي تتحقق له حريته الكاملة في وطنه أي سيادته كاملة علي ترابه القومي أي بدون أي تزويق ... حتي يستطيع أن يمارس « الديمقراطية السليمة » في وطنه المحرر فلا حرية أو ديمقراطية في وطن محتل أو مسلوب الإرادة ... أليس كذلك ؟